وظائف العبيد والإماء أمام الفتن والبلاء (٤)

حسن الظن بالله تعالى

عباد الله ما زلنا مع وظائف العبيد والإماء أمام الفتن والبلاء، وقد تكلمنا في الخطب الماضية عن آثار المعاصي وكيف نتخلص منها وعن التوبة.

عباد الله قيل إن المصيبة التي يصاب بها العبد تأثيرها عليه ١٠% أما الـــ ٩٠% من التأثير تنتج عن عدم صحة مواجهتها، وكما قلنا عباد الله كيفية المواجهة لهذا الابتلاءات بتلك الوظائف التي نسردها.

واليوم بإذن الله نتكلم عن وظيفة هامة، ألا وهي: حسن الظن بالله.

معنى حسن الظن هو: توقُّع الجميل من الله تعالى، فإن حسن الظن بالله عمل قلبي عظيم المترلة والأثر في الدين وله عاقبة حسنة، والعبد مفتقر إليه في سيره لربه ومكابدته لأمور معاشه وتعامله مع صنوف الخلق، قال الله تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾**﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال سفيان الثوري: «**أَحْسِنُوا بِاللَّهِ الظَّنَّ**»[١]، وكان سعيد بن جبير يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ**»[٢]، وحسن الظن بالله حقيقته أن يظن العبد بالله خيرا، ورحمة، وإحسانا في معاملته، ومكافأته ومجازاته أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة.

وقد رغب الشرع في حسن الظن بالله:

١. يروى: «**أَفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ**»[٣]، وحسن الظن من حسن العبادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ**»[٤].

٢. أن من أحسن ظنه بالله آتاه الله إياه، ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ: " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»[٥]، وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا؛ فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا؛ فَلَهُ**»[٦]، والمعنى: "أعامله على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر"، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ**»[٧].

قال سهل القطعي رحمه الله: «**رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا يَحْيَى لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ، مَحَاهَا عَنِّي حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ**»[٨].

---

[١] حسن الظن بالله (١١٧/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[٢] مصنف الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله (٢٠٢/٧).

[٣] أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه (٣٥٧١)، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الإمام الترمذي رحمه الله (٣٥٧١)، وقال الإمام المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب (٣٩٢/٢): صحيح، أو حسن، أو ما قاربهما.

[٤] أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه (٤٩٩٣)، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الإمام أبي داود رحمه الله (٤٩٩٣)، وصححه الإمام السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير (٣٧٢٢).

[٥] أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٥٠٥)، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٦٧٥).

[٦] أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (٩٠٧٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣١٥).

[٧] حسن الظن بالله (٩٦/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[٨] حسن الظن بالله (٢٣/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

وروى البيهقي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا: «أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِعَبْدٍ إِلَى النَّارِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى شَفَتِهَا، الْتَفَتَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، إِنْ كَانَ ظَنِّي بِكَ لَحَسَنٌ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: رُدُّوهُ، فَأَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1].

روى ابن أبي الدنيا عن علي بن بكار رحمه الله تعالى أنه سئل عن حسن الظن بالله تعالى قال: «لَا يَجْمَعُكَ وَالْفُجَّارَ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ»[2].

ودعا رجل بعرفات فقال: «لَا تُعَذِّبْنَا بِالنَّارِ بَعْدَ أَنْ أَسْكَنْتَ تَوْحِيدَكَ قُلُوبَنَا ، قَالَ: ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: مَا إِخَالُكَ تَفْعَلُ بِعَفْوِكَ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: وَلَئِنْ فَعَلْتَ فَبِذُنُوبِنَا، لَتَجْمَعَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ طَالَ مَا عَادَيْنَاهُمْ فِيكَ»[3]، وقال سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ لَا تُشْمِتْ مَنْ كَانَ يُشْرِكُ بِكَ بِمَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِكَ»[4]، وكان عمر بن ذر رحمه الله إذا تلا: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] قال: «وَنَحْنُ نُقْسِمُ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِنَا لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، أَتُرَاكَ تَجْمَعُ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَبَكَى أَبُو حَفْصٍ بُكَاءً شَدِيدًا»[5].

والذي يحمل على حسن الظن بالله آية في كتاب الله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فيحمل على حسن الظن رحمةُ الله التي وسعت كلَّ شيء، ويقول نبينا ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[6].

ويأتي جبريل عليه السلام إلى نبينا ﷺ فيقول: «لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ»[7].

ويخبرُ ﷺ عن آخر أهل النار خروجًا منها ومحاورته لربه: «أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ، حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ

---

[1] أخرجه الإمام البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (١٠١٥)، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٢٥٥).

[2] حسن الظن بالله (١١/٢٥/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[3] حسن الظن بالله (١٢/٢٥/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[4] حسن الظن بالله (١٤/٢٧/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[5] حسن الظن بالله (١٥/٢٧/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[6] رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٣١٩٤)، ورواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ مقارب (٢٧٥١).

[7] أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه (٣١٠٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، فَيَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا، قَالَ: اللَّهُ لَهُ تَمَنَّهْ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ، يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»[1].

فما أعظمَ رحمةَ الله! وما أوسع فضله!!

يقول سفيان الثوري رحمه الله: «**مَا أُحِبُّ أَنَّ حِسَابِيَ جُعِلَ إِلَى وَالِدَيَّ؛ رَبِّي خَيْرٌ لِي مِنْ وَالِدَيَّ**»[2].

أفلا يحمل هذا كلُّه المؤمن على أن يكون حسن الظن بربه؟؟

ومن أعظم ما يعين المؤمن على حسن الظن بربه معرفته بواسع رحمة الله، وكرمه، وَجوده، وعظيم إحسانه بالخلق مهما أذنبوا وقصروا في طاعته، كما قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي**»[3]، ومما يعين أيضا النظر في قصص الفرج بعد الشدة ومعية الله ومعونته ونصرته وتوليه لأهل الحسن بالظن بالله. وقد وقع للسلف الصالح في هذا الباب قصص مدهشة فيها عبرة وعظة لمن كان قلبه حاضر ويقينه شاهد ورجاؤه متحقق.

عن أبي هريرة تقال سمعت رسول الله ﷺ: «**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»[4].

وكذلك قصة الرجل العقيم الذي أرادوا أن يأخذوا منه عينة لكي يلقح بويضة المرأة، وعدد الحيوانات المنوية بالعينة ١٠٠ مليون حيوان، وإذا بالعينة تخرج منها فقط ثلاثة حيوانات شبه ميتة قامت بتلقيح ثلاث بويضات، ورزق الرجل بتوأمين.

أحد الولاة الظلمة يريد أن يقتل بعض الناس، فذهب راوي القصة إليهم، فوجد أحد المحكوم عليهم بالقتل يضحك، فتعجب، وقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، أريد طعاما، فتعجب الرجل، وقال له: أهذا الحكم بالقتل لا يؤرقك فأنت تأكل وتضحك؟ فتناول المحكوم عليه بالقتل قشة وألقى بها على الأرض، وقال: يا هذا، إلى أن تصل هذه القشة إلى الأرض يوجد مائة مفتاح للفرج، قال الراوي: فوالله ما استتم كلامه حتى علموا بموت الوالي الظالم ودخل الناس وأخرجوا المسجونين ظلما، فقال المحكوم عليه: يا هذا، هذا ظننا في الله، وظننا فيه كان أجمل من ظنك، فكيف رأيت من جميل صنعه؟!

---

[1] رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٧٤٣٧)، ورواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه (١٨٢).

[2] حسن الظن بالله (٤٥/١)، للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله.

[3] أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه (٣٥٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الإمام الترمذي رحمه الله (٣٥٤٠).

[4] رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٠٠٠)، ورواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٧٥٢).

دعِ المقاديرَ تجري في أعنّتها ... ولا تَبيتَنَّ إلا خاليَ البالِ

ما بين غمْضةِ عين وانتباهتِها ... يغيّر الله مِنْ حالٍ إلى حالِ

ربِّ صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمدُ لله رب العالمين.

من أراد مشاهدة الخطب فليتابعنا على موقع جمعية الترتيل: al-tarteel.com